أشهر المفتين من أهل مكة

obeikandl.com

obeikandl.com

- **ومن أهل مكة:**

عبد الله بن عباس - رضى الله عنه -

هو عبد الله بن عباس عالم أمة محمد، وأعلمها بكتاب الله، وأفقهها بتأويله، وأقدرها على النفوذ إلى أغواره، وإدراك مراميه وأسراره.

ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولما توفى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، كان له ثلاث عشرة سنة فقط.. ومع ذلك فقد حفظ للمسلمين عن نبيهم ألفاً وستمائة وستين حديثاً أثبتها البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

وما إن حلت عن الغلام "الهاشمى" تمائمه، ودخل سن التمييز حتى لازم رسول الله ﷺ ملازمة العين لأختها.. فكان يعد له ماءَ وضوئه إذا هم أن يتوضأ.. ويصلى خلفه إذا وقف للصلاة.. ويكون رديفه إذا عزم على السفر.. حتى غدا له كظله يسير معه أنى سار، ويدور فى فلكه كيفما دار.

وهو فى كل ذلك يحمل بين جنبيه قلباً واعياً، وذهناً صافياً، وحافظة دونها كل آلات التسجيل التى عرفها العصر الحديث.

هذا الصحابى الجليل ملك المجد من جميع جوانبه، فما فاته منه شىء: فقد اجتمع له مجد الصحبة، ولو تأخر ميلاده قليلاً لما شرف بصحبة رسول الله ﷺ .

ومجد القرابة، فهو ابن عم نبى الله صلوات الله وسلامه عليه.

ومجد العلم، فهو حبر أمة محمد وبحر علمها الزاخر.

ومجد التقى، فقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل، مستغفراً بالأسحار، بكاء من خشية الله حتى خدد الدمع خديه.

فقد سلك الفتى عبد الله بن عباس إلى العلم كل سبيل، وبذل من أجل تحصيله كل جهد.

ظل ينهل من معين رسول الله ﷺ ما امتدت به الحياة، فلما لحق الرسول الكريم ﷺ بجوار ربه اتجه إلى البقية الباقية من علماء الصحابة وطفق يأخذ منهم ويتلقى عنهم.

ولما اكتمل لابن عباس ما طمح إليه من العلم تحول إلى معلم يعلم الناس فأصبح بيته جامعة للمسلمين.. نعم أصبح جامعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة في عصرنا الحديث..

وكل ما بين جامعة ابن عباس وجامعاتنا من فرق، هو أن جامعات اليوم يحشد فيها عشرات الأساتذة، وأحياناً المئات.. أما جامعة ابن عباس فقد قامت على أكتاف أستاذ واحد، هو ابن عباس نفسه.

روى أحد أصحابه قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش افتخرت به لكان لها مفخرة..

فلقد رأيت الناس اجتمعوا في الطرق المؤدية إلى بيته حتى ضاقت بهم، وسدوها في وجوه الناس، فدخلت عليه وأخبرته باحتشاد الناس على بابه، فقال: ضع لي وضوءاً.. فتوضأ وجلس، وقال:

أخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل.. فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر، ثم قال لهم: أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

ثم قال لي: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل.. فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثل ما سألوا عنه وأكثر، ثم قال لهم: أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

ثم قال لي: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل.. فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال لهم: أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

ثم قال لي: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل... فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال لهم: أفسحوا الطريق لإخوانكم، فخرجوا.

ثم قال لي: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر وغريب كلام

العرب فليدخل.. فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم مثله.

قال راوى الخبر: فلو أن قريشاً فخرت بذلك لكان ذلك لها فخراً.

وقد غدا ابن عباس، بفضل علمه وفقهه، مستشاراً للخلافة الراشدة على الرغم من حداثة سنه.

فكان إذا عرض لعمر بن الخطاب أمر أو واجهته معضلة[١] دعا جلة[٢] الصحابة ودعا معهم عبد الله بن عباس، فإذا حضر رفع منزلته وأدنى مجلسه وقال له: لقد أعضل علينا أمر أنت له ولأمثاله.

وقد عوتب مرة فى تقديمه له وجعله مع الشيوخ، وهو مازال فتى، فقال:

إنه فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول.

على أن ابن عباس حين انصرف إلى الخاصة ليعلمهم ويفقههم، لم ينس حق العامة عليه، فكان يعقد لهم مجالس الوعظ والتذكير.

ولم يكن ابن عباس من الذين يقولون مالا يفعلون، وينهون الناس ولاينتهون، وإنما كان يصوم نهاراً، ويقوم ليلاً.

وكان لعبد الله بن عباس موكب يفوق موكب الخليفة من طلاب العلم.

عاش ابن عباس إحدى وسبعين سنة ملأ فيها الدنيا علماً وفهماً وحكمة وتقى.

فلما أتاه اليقين[١] صلى عليه محمد بن الحنفية[٢].. والبقية الباقية من صحابة رسول الله ﷺ وجلة التابعين.. وفيما كانوا يوارونه ترابه، سمعوا قارئاً يقرأ:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾

[الفجر:٢٧-٣٠].

* * *

(١) المعضلة: المشكلة الصعبة.
(٢) جلة الصحابة: شيوخ الصحابة ومتقدموهم.
(٣) اليقين: الموت.
(٤) محمد ابن الحنفية: هو محمد بن على بن أبى طالب، وقد نسب لأمه لتمييزه من الحسن والحسين، لأن أمهما فاطمة بنت النبى ﷺ وأم محمد امرأة من بنى حنيفة..

عطاء بن أبى رباح مولى قريش - رضى الله عنه -

ولد عطاء بن أبى رباح فى خلافة عمر وسمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وغيرهم وكان أسود اللون مفلفلا، فصيحا كثير العلم، من مولدى الجند.

وقد كان عطاء بن أبى رباح فى صغره عبداً مملوكاً لامرأة من أهل مكة.

غير أن الله جل وعز أكرم الغلام "الحبشى" بأن وضع قدميه منذ نعومة أظفاره فى طريق العلم، فقسم وقته أقساماً ثلاثة:

قسم جعله لسيدته، يخدمها فيه أحسن ما تكون الخدمة، ويؤدى لها حقوقها عليه أكمل ما تؤدى الحقوق.. إلا أنها من شدة ورعه وتقربه لله اعتقته تقربا منها لله عز وجل.

وقسم جعله لربه، يفرغ فيه لعبادته أصفى ما تكون العبادة وأخلصها لله عز وجل، حتى إنه اتخذ البيت الحرام مقاما له، ومدرسة ينهل منها، ومصلاه.

وقسم جعله لطلب العلم، حيث أقبل على من بقى حياً من صحابة رسول الله ﷺ، وطفق ينهل من مناهلهم الغزيرة الصافية.. فأخذ عن أبى هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، حتى امتلأ صدره علماً وفقهاً ورواية عن رسول الله ﷺ.

وقد بلغ هذا التابعى الجليل منزلة فى العلم فاقت كل تقدير ونال مرتبة لم ينلها أحد من معاصريه حتى أصبح سيد فقهاء الحجاز وقد وصل لهذا لأنه أحكم سلطانه على نفسه وعلى وقته.

رحم الله عطاء بن أبى رباح الذى توفى سنة ١١٤هـ عن عمر يناهز المائة عام ملأها بالعلم والعمل والتقوى، مات وهو يسأل الله تعالى رضاه ويستعيذ به من سخطه والنار.

* * *